مهلة ترامب الأخيرة لإيران... أوهام أميركا الوليدة في مواجهة الإمبراطورية الفارسية

في تصعيد يُعد الأخطر منذ اندلاع الحرب، وضع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إيران أمام مهلة حاسمة... 48 ساعة فقط لاتخاذ قرار مصيري، إما القبول باتفاق وفتح "مضيق هرمز"، أو مواجهة إيران لما وصفه صراحة بـ"الجحيم".

ترامب أعاد توجيه هذا التهديد ذاته، عدة مرات، منذ بداية الحرب الأخيرة، وتراجع في كل مرة بحجة مختلفة، إما إثر الضغوطات الإقتصادية العالمية، وارتفاع أسعار النفط الذي تجاوز المئة وعشرين دولاراً للبرميل، أو الضغوط الدولية على واشنطن، ناسياً أن إيران الحديثة هي وريثة الإمبراطورية الفارسية، التي كانت في العصر الأخميني واحدة من أعظم الإمبراطوريات في التاريخ، امتدت من الهند إلى مصر واليونان، وشكّلت نموذجاً متقدماً لدولة متعددة الثقافات بإدارة مركزية قوية، استمرت لآلاف السنين، مقابل الولايات المتحدة التي لا يصل عمرها لثلاثمئة سنة فقط.

هذا الإرث لا يزال حاضراً في وعي الشعب الإيراني، ويغذي شعوراً عميقاً بالقدرة على الصمود أمام القوى الكبرى.

هذا التهديد لم يكن مجرد تحذير سياسي، بل جاء مصحوباً برسائل واضحة من دوائر القرار في واشنطن بأن الخيارات المطروحة تشمل تدمير البنية التحتية الحيوية من جسور رئيسية ومحطات توليد ونقل كهرباء، ومصانع صلب وبتروكيماويات، لإيران بشكل واسع، بما يعيدها وفق تعبيرات متداولة داخل الإدارة إلى العصر الحجري.

وبحسب ما نقلته "رويترز" و"وول ستريت جورنال"، فإن الإدارة الأمريكية تنظر إلى هذه المرحلة على أنها نقطة حسم، حيث لم يعد هناك مجال للمناورة الطويلة أو المفاوضات المفتوحة، تحت الضربات الإيرانية على كل المصالح العسكرية والإقتصادية والتكنولوجية التابعة لأمريكا واسرائيل في الشرق الأوسط والمنطقة.

وأكد ترامب في تصريحاته أن الوقت ينفد، وأن الساعات القادمة ستحدد ما إذا كانت المنطقة ستتجه نحو تسوية أو نحو انفجار شامل.

اللافت في هذا التهديد أنه يتجاوز الضغوط التقليدية، ليصل إلى مستوى إعادة تشكيل البيئة الاقتصادية والعسكرية لإيران بالقوة، عبر استهداف منشآت الطاقة، الجسور، البنية التحتية، وربما حتى القطاعات الصناعية المرتبطة بقدراتها الدفاعية.

وهو ما يجعل المهلة الحالية أقرب إلى إنذار نهائي، وليس مجرد ورقة تفاوض.

في موازاة الخطاب التصعيدي، تتسارع التحضيرات العسكرية بشكل لافت، فقد كشفت وكالة "بلومبرغ" أن الولايات المتحدة قامت بنقل كميات كبيرة من صواريخ "ER-JASSM" الشبحية بعيدة المدى من مخازنها في المحيط الهادئ، وهي صواريخ متطورة قادرة على إصابة أهداف استراتيجية بدقة عالية من مسافات بعيدة، ما يشير إلى نية واضحة لتنفيذ ضربات عميقة داخل الأراضي الإيرانية.

كما تشير التقارير إلى أن هذه الصواريخ، التي تبلغ تكلفة الواحد منها نحو 1.5 مليون دولار، سيتم استخدامها بشكل مكثف في المرحلة القادمة، وهو ما يعكس حجم الرهان الأمريكي على الحسم العسكري إذا فشلت الدبلوماسية.

وفي السياق نفسه، نقلت "رويترز" عن مسؤول عسكري إسرائيلي أن تل أبيب جاهزة لشن هجمات على منشآت الطاقة الإيرانية خلال أيام، لكنها تنتظر الضوء الأخضر من واشنطن.

وتؤكد تقارير إسرائيلية أخرى أن الخطط تشمل توسيع الحرب لأسابيع إضافية، مع التركيز على إضعاف الاقتصاد الإيراني وشل قدراته الحيوية.

في مواجهة هذا التصعيد الأمريكي، جاء الرد الإيراني حاداً ومباشراً، بل واستخدم نفس المفردات تقريباً ولكن في الاتجاه المعاكس.

فقد أعلن قائد مقر خاتم الأنبياء المركزي أن تهديدات ترامب: "عاجزة ومتوترة وغير متزنة"، مؤكداً أن إيران لن تتراجع تحت الضغط، بل سترد بقوة أكبر.

وقال المسؤول الإيراني بوضوح: "إذا فُتحت أبواب الجحيم علينا، فستُفتح عليكم أيضاً"، في إشارة إلى استعداد طهران لتوسيع نطاق الحرب بشكل غير مسبوق.

كما شدد على أن، أي: "استهداف للبنية التحتية الإيرانية سيقابله استهداف شامل للبنى التحتية الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة، دون قيود أو خطوط حمراء".

هذا الرد، يبيّن استفادة ايران بشكل كبير من حرب ال "١٢" يوماً قبل ثمانية أشهر، من الدفاع إلى الردع الهجومي المفتوح، ويعكس تحوّلاً في العقيدة الإيرانية خلال هذه الحرب حيث لم تعد طهران تكتفي بالرد داخل حدود الصراع، بل تهدد بنقل المواجهة إلى كل مكان توجد فيه مصالح أمريكية واسرائيلية أو حليفة.

- هرمز... الورقة الإيرانية التي قد تفجّر العالم

في قلب هذا التصعيد، يتوضع مضيق هرمز كأخطر نقطة اشتعال، فالمضيق الذي يمر عبره 20% من تجارة النفط العالمية، لم يعد مجرد ممر ملاحي، بل أصبح سلاحاً استراتيجياً بيد إيران.

تشير تقارير وكالات "رويترز" و"بلومبرغ" إلى أن طهران ترى في السيطرة على المضيق وسيلة ضغط تتفوق في تأثيرها حتى على السلاح النووي، إذ يمكنها عبره التأثير المباشر في أسعار الطاقة والاقتصاد العالمي.

وقد أعلنت إيران عملياً فرض واقع جديد، حيث باتت حركة السفن خاضعة لرقابة مشددة، مع تصريحات تؤكد

أن المرور لن يكون متاحاً دون إذن أيراني لجميع دول العالم.

وفي حال تنفيذ التهديدات الأمريكية بضرب منشآت الطاقة، فإن السيناريو المرجح هو تشديد قبضة إيران على المضيق أو إغلاقه بشكل كامل، ما قد يؤدي إلى صدمة عالمية في أسواق النفط، ويجر قوى دولية أخرى إلى الصراع.

- رداً على ترامب... إيران تهدد بتوسيع الحرب أكثر وفتح جبهات جديدة

هددت إيران مجدداً بتوسيع الحرب أكثر وفتح جبهات جديدة ممتدة من إسرائيل إلى كامل الشرق الأوسط.

حيث نفذت ايران منذ بداية الحرب، حتى اليوم، موجات متتالية من الهجمات الصاروخية والطائرات المسيّرة ضمن عمليات "الوعد الصادق 4"، مستهدفة مدناً إسرائيلية رئيسية مثل تل أبيب وحيفا وديمونا، إضافة إلى استهداف مواقع مرتبطة بالوجود الأمريكي في الخليج، من الكويت إلى البحرين والإمارات.

- محاولات إيجاد الطيارين المفقودين: شرارة تصعيد إضافية محتملة

أضافت حادثة إسقاط الطائرة الأمريكية داخل إيران بُعداً خطيراً للصراع.

ووفق تقرير "تلغراف"، فإن مصير الطيار المفقود قد يكون عاملاً حاسماً:

-أسره قد يدفع نحو التهدئة.
-مقتله قد يشعل تصعيداً واسعاً.
-الغموض حول مصيره يمنح إيران ورقة ضغط قوية.

هذا العامل يجعل القرار الأمريكي أكثر تعقيداً، خاصة في ظل الضغوط الداخلية للرد.

- 48 ساعة: إما الانفجار أو التسوية

مع اقتراب انتهاء مهلة الـ48 ساعة، تتجمع كل عناصر الانفجار في لحظة واحدة، تهديد أمريكي غير

مسبوق، استعدادات عسكرية واسعة، وعود برد إيراني شامل، ومضيق هرمز كقنبلة اقتصادية عالمية.

وبحسب محللين فإن السيناريوهات المطروحة تتراوح بين:

-ضربة أمريكية واسعة لمنشآت الطاقة
-تصعيد إسرائيلي ضد الاقتصاد الإيراني
-رد إيراني يشمل الخليج وإغلاق هرمز
-انزلاق إلى حرب إقليمية شاملة.
- دخول أكبر وأوسع لأنصار ا الحوثيين باليمن.

ورغم استمرار الوساطات الدولية (باكستان، تركيا، مصر) وفق "أسوشيتد برس"، فإن الوقت يضيق بسرعة، ومع كل ساعة تمر دون اتفاق، تقترب المنطقة أكثر من نقطة اللاعودة.

- ساعات قبل الحسم: إنذار أمريكي بمواجهة صعود الردع الإيراني وثقله التاريخي

وبين هذا التهديد وردّه، تحضر إيران ليس فقط كدولة تواجه ضغطاً عسكرياً، بل كامتداد لحضارة ضاربة في التاريخ، تعود إلى إمبراطوريات حكمت مساحات شاسعة من العالم القديم، وهو بُعد تضيفه طهران إلى خطابها في مواجهة أي محاولة لكسرها أو فرض إرادة خارجية عليها.

وهذا التبادل المباشر في اللغة والتصعيد وضع الطرفين منذ البداية في معادلة صدامية: تهديد شامل مقابل رد شامل، دون مساحة واضحة للتراجع.

والمهلة نفسها لم تكن مجرد رقم زمني، بل أداة ضغط قصوى تهدف إلى فرض قرار سريع على إيران.

ووفق تقارير وكالة "رويترز"، ترى واشنطن أن هذه الساعات تمثل "نقطة حسم" وليست جولة تفاوض، مع استعدادات عسكرية فعلية تشمل ضرب منشآت استراتيجية داخل العمق الإيراني، بالتوازي مع تنسيق مع إسرائيل لاستهداف قطاع الطاقة الإيراني.

و في المقابل، تدرك إيران أن الاستجابة ضمن هذا الإطار تعني خسارة سياسية كبرى، لذلك اختارت المواجهة، لا فقط بالرفض، بل بإظهار قدرتها على الرد خلال نفس الإطار الزمني الضيق، ما يجعل مهلة

الـ48 ساعة نفسها عاملاً لتسريع الانفجار وليس منعه.

وضمن هذا التصعيد، لم تكتفِ إيران بالتصريحات، بل قدمت صورة واضحة لما يمكن أن تفعله إذا نُفذت التهديدات الأمريكية.

حيث أعلنت طهران أنها ستستهدف منشآت الطاقة والمياه في الخليج، وهي بنى حيوية تعتمد عليها دول المنطقة بشكل مباشر، ما يعني أن الحرب لن تبقى داخل إيران، بل ستتحول إلى أزمة إقليمية تمس الاقتصاد العالمي، بحسب ما أوردته "رويترز" في تغطياتها الأخيرة للتصعيد.

وعلى الأرض، لم تبقَ هذه التهديدات نظرية، إذ تمكنت إيران من إسقاط طائرات أمريكية حربية متطورة ومسيرات من أفضل الأنواع بالعالم، خلال المواجهات الأخيرة، واستهدفت قواعد ومواقع أمريكية في الخليج، إضافة إلى ضربات طالت إسرائيل، ما يعكس أن قدرتها ليست دفاعية فقط، بل هجومية وممتدة جغرافياً.

وفي المقابل، ورغم التفوق العسكري الأمريكي، فإن طبيعة هذا الصراع تكشف أن القوة ليست أحادية الاتجاه، فرغم أن الولايات المتحدة قادرة على تنفيذ ضربات دقيقة وعميقة، فإن إيران تمتلك أدوات ردع مختلفة: (الجغرافيا، المضائق، الشبكات الإقليمية، والقدرة على ضرب البنية التحتية الحيوية في أكثر من دولة).

و هذا ما يجعل أي ضربة أمريكية واسعة محفوفة بردود قد تخرج عن السيطرة، وتحوّل الحرب من مواجهة محدودة إلى صراع إقليمي مفتوح، وهو ما تحذر منه تقارير تحليلية في مراكز أبحاث غربية نقلت خلاصاتها وسائل إعلام دولية.

ولكن ما يميز هذا المشهد ليس فقط التوازن العسكري، بل البعد الحضاري الذي تحاول إيران إدخاله في سياق المواجهة.

فإيران لا تقدم نفسها كدولة عادية تحت التهديد، بل كوريثة لإمبراطورية فارسية قوية ومتأصلة ومتجذرة، كانت واحدة من أعظم القوى في التاريخ، حين امتدت من الهند إلى مصر واليونان، وسيطرت على مساحات لم تكن فيها أصلاً دول الخليج الحديثة، ولا حتى وجود للولايات المتحدة الأمريكية كدولة لا تتعدى مئات السنوات، مقابل وهي حقائق تاريخية موثقة في الأدبيات الأكاديمية حول الإمبراطورية

الأخمينية.

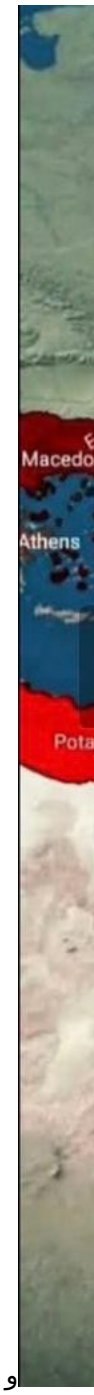

و هذا البعد ليس تفصيلاً رمزياً، بل جزء من الخطاب السياسي الذي يربط الحاضر بالماضي، ويقدم الصراع كاستمرار لمسار طويل من المواجهة مع القوى الكبرى.

من هنا، فإن التهديد بإعادة إيران إلى "العصر الحجري" يُفهم في طهران بشكل مختلف.

هو ليس فقط تهديداً بتدمير البنية التحتية، بل محاولة لكسر دولة ترى نفسها امتداداً لحضارة عمرها آلاف السنين.

و لكن المفارقة التي يطرحها هذا التصور أن إيران، إذا تعرضت لضربات واسعة ضمن هذا السياق، قد لا ترد فقط عسكرياً، بل استراتيجياً بطريقة تعيد تشكيل توازنات المنطقة. فعندما كانت الإمبراطورية الفارسية في أوجها، كانت تتحكم بمنطقة لم تكن فيها دول الخليج بشكلها الحالي، ولم تكن الولايات المتحدة موجودة أصلاً، وبالتالي فإن أي رد واسع اليوم قد يتجاوز حدود الدولة الحديثة، ويمتد ليطال بنية المنطقة نفسها، من الخليج إلى طرق الطاقة العالمية، وهو ما تحذر منه أيضاً تقارير جيوسياسية حديثة تناولت سيناريوهات توسع الصراع.

وفي ضوء كل ذلك، يبدو أن مهلة الـ48 ساعة ليست مجرد ضغط سياسي، بل لحظة فاصلة تتقاطع فيها القوة العسكرية مع الجغرافيا ومع التاريخ.

فالولايات المتحدة تدفع نحو الحسم بالقوة، وإيران ترد بمنطق الردع الشامل، وبينهما منطقة كاملة تقف على حافة تحول قد لا يكون عسكرياً فقط، بل استراتيجياً واقتصادياً وحتى تاريخياً في نتائجه.

وفي قلب هذه المعادلة، تبرز قوة إيران ليس فقط فيما تملكه من قدرات عسكرية أو أوراق ضغط جغرافية، بل في قدرتها على الجمع بين الردع الميداني والعمق الحضاري، وهو ما تؤكده أيضاً قراءة عدد من التقارير الدولية التي ترى أن طهران تراهن على مزيج القوة والتاريخ في مواجهة الضغوط، ما يجعل أي محاولة لكسرها بالقوة مشروعاً عالي الكلفة، ليس على مستوى الحرب فقط، بل على مستوى توازن المنطقة بأكملها.